مجهر الفحص لاختبار موضوعيتها وحيادها ، لا يقوم بعملية سهلة ، فالنصوص التي عليه دراستها ليست متوفرة كلها امامه، باعتبار ان الكلمة المذاعة على الهواء ليست باقية للمراجعة كالكلمة المكتوبة. ولذا لا يمكن اعتبار هذا التقرير الا على انه تمهيدي ويحمل صفة تجريبية . وقد تتاح الفرصة للباحث العربي او غير العربي ان يراجع في المستقبل ارشيفات البي بي سي في لندن ، فيقرأ النصوص ويعيد الإستماع الى التسجيلات ويتناقش مع المشرفين على الاذاعة ، من اجل كتابة دراسة اغزر مادة واكثر شمولا .

للبي بي سي ثلاثة مراسلين دائمين في العالم العربي : اولهم هو مراسلها الثابت في الشرق الاوسط ومقره في بيروت ، والثاني مراسلها في القاهرة ، والثالث مراسلها في المغرب . وهؤلاء هم عادة من البريطانيين الاقحاح . أما مراسلو اذاعة لندن في اسرائيل ، فهما يهوديان : مايكل الكنز (الذي يراسل ايضا مجلة نيوزويك الاسبوعية الامريكية ، وهو نفسه من اصل امريكي) وآشر ولفش . ويعاونهما احيانا مراسل ثالث هو جون بيرمان ايضا يهودي . والسؤال الحتمي الذي يتبادر الى الاذهان هو : لماذا اعتمدت البي بي سي مراسليها في اسرائيل من بين اليهود ؟ اذا كان هذا التعيين يستند الى الافتراض القائل بأن ليس كل يهود العالم صهاينة (وان كانت الاستفتاءات قد اثبتت بأن ٩٩ بالمئة من اليهود في العالم يمنحون اسرائيل درجات متفاوتة من التأييد) فليس من المعقول بتاتا ان تسمح اسرائيل ليهودي غير صهيوني ان يقيم فيها كمراسل لاذاعة اجنبية كبرى باهمية اذاعة لندن ، في الوقت الذي توصم فيه الصهيونية العالمية كل يهودي لا يناصر اسرائيل بالخيانة والارتداد عن الدين . فكما كان جون فوستر داليس ، وزير خارجية الولايات المتحدة في عهد ايزنهاور، يصف الحياد بين الكتلتين الشرقية والغربية ، باللااخلاقية ، كذلك لا يمكن لاسرائيل مطلقا ان تعترف ليهودي بحقه في اتخاذ موقف محايد منها .

ان الصهيونية لا تعترف بوجود يهودي غير ملتزم باسرائيل ، وهي لم تتورع عن اتهام ساخس وبراهام حتى في يهوديتهما عندما انتقدا اسرائيل لرفضها الانسحاب من الاراضي العربية التي احتلتها في حرب حزيران . لقد تعرض الرجلان لحملة شعواء ومقاطعة يهودية شاملة لا تختلف من عملية التحريم التي كانت الكنيسة الكاثوليكية في السابق تعاقب بها كل من يخرج عن القطيع . فمارك براهام مثلا فصل من وظيفته كمحرر في جريدة يهودية واضطر الى مغادرة وطنه استراليا ، كما أتهم بالمروق والعمالة للقاهرة . ولم تنشر الصحف اليهودية رسائله التي دافع فيها عن نفسه . ولم يشفع لبراهام او ساخس تأييدهما لبقاء اسرائيل، او أن اعتراضهما على السياسة الاسرائيلية اقتصر على مطامح تل ابيب التوسعية ، فالصهيونية تعتبر جميع اليهود في العالم شعبا واحدا قلبه النابض اسرائيل .فقبل انشاء الدولة اليهودية بخمس سنوات، وقف بن غوريون أمام حشد يهودي بفلسطين ليعلن: « ان اليهود في العالم يكونون شعبا واحدا » . كما نص البند الاول في مقررات المؤتمر الصهيوني العالمي الخامس والعشرين الذي انعقد في نيويورك عام ١٩٦١ بأن « كل يهودي في العالم جزء من مجموعة قومية واحدة » . وفي عام ١٩٥٩ كتبت صحيفة يهودية تقول : « ان يهود العالم شعب واحد بمركزين حيويين ، اسرائيل وبلاد المنفى . واحدهما يجب ان يزود الاخر بالامن واستمرار الوجود » . ان المبدأ الاساسي الذي ترتكز عليه الصهيونية هو اعتبار كل يهودي في العالم مواطنا في أرض الميعاد ، له الحق مطلق الحق في طلب حماية الدولة اليهودية ، والدولة اليهودية بدورها تتوقع منه ان يمنحها ولاءه الكامل وتأييده غير المشروط . معنى ذلك أن الكنز وولفش هما مواطنان اسرائيليان يقع على عاتقهما ، اسوة ببقية اليهود ، « تزويد اسرائيل بالامن واستمرار الوجود » . فهل فاتت على هيئة الاذاعة البريطانية هذه الحقيقة البديهية ؟ هل تتوقع حقا ان يتجرد الكنز وولفش من التزامهما بالقضية الاسرائيلية من أجل تزويدها بتقارير لا يرقى الشك الى دقتها وعدم انحيازها ؟ والا فلماذا لا تقطع البي بي سي الشوط كله في هذا المضمار وتعين مراسلها في موسكو من الروس ، وفي بكين من الصينيين وفي القاهرة من العرب ؟

ان كل من ينصت الى مايكل الكنز وهو يقدم تقريره على الاثير في نطاق برنامج « الجريدة الناطقة » لا يمكن ان ينسى نبرة صوته عندما ينهي كل تقرير يتضمن خبر هجوم عربي على اسرائيل بالعبارة التالية : « لا بد لاسرائيل أن تنتقم » . ومن الجدير بالذكر ان ونستن تشرتشل الحفيد ، المعروف بتأييده لاسرائيل ، أثنى عليه في كتابه « حرب